

## ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء .

فلما سمع السلطان بحركتهم • أيقن بهلكتهم • وقال : الحمد لله الذي أنجز وعده • وأيد جنده وأنا من من رادنا القطار • وأصغى من مرامنا النطاف • وأسنى لنا الالطاف ونهض بجباله الى جبالهم • وبرجاله الى رجالهم • وسار لقتالهم • وضيق عليهم سعة مجالهم • وأخذ عليهم بذوي الاقدام قدامهم • ووقف بصفوفه امامهم • وصد طرقتهم • وسد فلقهم • ورد عن الزحف فيلقهم • وأغرى غرامهم • وأضرى ضرامهم ذاك والله ذاك ، والجيش شك والقيظ عليهم فيض • وما للغيظ منهم غيظ وقد وقد الحر ، واستشرى الشر • ووقع الكر والفر • وللأوار تأجج • وللارام توهج ، وللعدى شعل • وللردى شغل • والسعير واقد • والهجير عاقد • والآل شايط غرار • ومال الشيطان قرار • والسراب طافح • والظمأ لاقح ، والجو محرق • والجوى مقلق • ولا ولذك الكلاب من اللهب لهث • وبالغيث عبث ، وفي ظنهم أنهم يردون الماء • ويردون الذماء • ، فحالاتهم الحالة الحالية • وغالتهم الغلة الغائلة • واستقبلتهم جهنم بشرارها • واستظهرت عليهم الظهيرة بنظارها • وذاك يوم الجمعة بجموع أهلها المجتمعة • ووراء عسكرنا بحيرة طبرية • والورد عد وما فيه بعد • وقد قطعت على الفرنج طريق الورد • وبلوا من العطش بالنار « ذات الوقود » فوقوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين ، فكلبوا على ضراوتهم • وشربوا ما في اداوتهم • وشفهاوا ماحولهم من موارد المصانع • واستنزفوا حتى ماء المدامع • وأشرفوا على المصير الى المصارع • وبخل الليل وسكن السيل • وباتوا على شغف البحيرة بحيرة • وحيقت فذونهم • ولم يبق بهم غير غيرة • وباتوا بقريحة وقرح • وظماء برح • وقووا أنفسهم على الشدة • واستعدوا بالعزائم والضرائم المحتمة المحتنة • وارتدوا من ماء الفرند • واكتفوا بماء جداول الأغمد من الورد

العد • وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقضاضهم الى  
القواضيب القواضي • ونقتضي بحقوق الحقود أشد  
التقاضي • ونبليهم في برد الصباح بحر الكفاح • ونظهر لارواء  
الأرواح نجاح النجاح، وشدوا حزم الانتشاء • وأعدوا حرم  
الغناء • وأجدوا عزم البلاء • وطلبوا البقاء بالتوسط في  
العناء • وأما عساكرنا فانها قد اجتذرات • ومن كل مايعوقها  
برئت • وهذا لسنانه شاحذ • وهذا شههم موفوق • وهذا لحده  
ممه • وهذا لحده منه • وهذا لسهمه موفوق • وهذا شههم  
موفوق • وهذا مكثر للتكبير • ومنتظر للتبكير • وهذا مجر  
ضامر • ومعر بائر • ومغر مؤمن بكافر • وهذا يقول : أنا المبارز  
المناجز • والمحاجز للحاجز • وهذا ناج للسعادة • وهذا راج  
للسعادة • فيالله تلك من ليلة حراسها الملائكة، ومن سحرة انعامها  
الطاف الله المتداركة • ومن دجنة أضاء بها نور الجنة • ومن دجبة  
أنارت بها نجوم الأسنة • ومن هزيع تجره بالحق صبيح • ومن  
ظلام ممله بالضياء جميع • ومن جنح كل جناح تحت مغافره  
مغفور • ومن يجور مابعده لاشراق سنا النصر يجور • ومن  
ألوية أولياء الله عقدتها بخمرها الحور • وقد قابل بها فيها ظلمة  
الكفر من الايمان والنور • فهي ليلة القدر « خير من ألف  
شهر » تنزل فيها الملائكة والروح • وفي سحرها نشر الظفر  
يفوح • وفي صباحها الفتوح • فما ابهجنا بتلك الليلة  
الفاخرة ، فقد كنا ممن قال الله فيهم : « فأتاهم الله ثواب الدنيا  
وحسن ثواب الآخرة » وبتنا والجنة معروضة • والسنة مفروضة  
والكوثر واقفة سقاته • والخلا قاطفة جناته • والسلسبيل واضحة  
سبيله • والاقبال ظاهر قبوله • والظهور قائم دليله • والدين  
متقاضي بالشفاء عليلة • راع رياض الرضا رعيه • والله ناصر  
الاسلام ومديله .

## ذكر الذشاب ووصفه .

وسهر السلطان تلك الليلة • حتى عين الجاليشية من كل طلب  
بأسماء رجالها • وملا جعابها وكنائنها عريات نبالها • ومريشات  
نصالها • وكان ما فرقه من الذشاب أربعمائة حمل • فنزل نص  
النصر منها على كل نصل • ووقف سبعين جمازة في حومة الملتقي  
يأخذ منها من خلت جعابة • وفرغ نشابه من تغالوق تفتح من باب  
الجنة المغالوق • وتواضیح تخرق المضاعف الذسيح • وناوكات ذوات  
نكايات • وزيارات وزنبوركات • ونبل عنده نبال لكل تبل • ونشاب  
في الأحداق نبي انشاب • وجروح الجروح • وخروج الروح • وسهام  
الأشهر سهام الحمام وتنفير أقرانها ..... الثعام . ونصل وصالها  
تقطع أوصل نافق بكل حمس صال . ومطالوق نطلق بها سراح  
الأرواح . ومعايل تكثر منها صعب الجراح . ومهرقات موفقات  
مسدات ... الحساروق... (٥) المبردات وصبائبات الى المقبل  
صايبات . ونواجز تعيد السباع قنافظ . وتجعل للنجيع  
مناجع . وللمنون منافذ . وبوارق تمزق أهب المارق . وتطقم  
وتنتقم من المارد المارق . ومريشات أوكارها الحدق . وأوكائها  
الحلق . وفاصلات ناضحات أربية الردي . وناحلات فاضحات  
أوردة العدى . وقاضبات قاضيات بحكم الردي . وحارقات رقعات  
خروق النواظر . وفاتقات راتقات فتوق الخواطر . وراشقات  
راشقات شفاء المقاتل . وقائفات قناعات منفسار  
المناسل . وماضيات حاظيات بالأصابة . وساعات داعيات  
للأجابة . وحفيفات ثقيلات الجنابة . ومخيفات قمينات  
الذكاية . ومضميات مصمات للفتك . ومدميات مديمت  
البتك . وقربيات بعيدات المطار . وطالعات مطلقات على  
الأسرار . هاتكات للذماء . سافكات للدماء . مثيريات  
للثرى . مفريات للفرى . جائرات بالجري . واثبات وثب  
الجراد . وأريات وري الزناد . طائرات من الأكناد الى  
الأكباد . مرهفات من الهيف . مربعات بالهيف . خارجات من

طلوع الحنايا الى احناء الضلوع. مـارجات لدى الروع الراد  
الروع . قارعات ابواب القراع . قالعات انياب القلاع . بالغات  
الشعور . عالقات بالتامور . محالقات للحدور . غاربات الغروب في  
النور . ورايات الصدور الى الصدور . قساطعات  
للحجاب . واقعات بالعذاب . مدمجات على الالتهاب . مغنيات  
بالدماء على الطعان والضراب . ومـراسيل تـروى امام  
العوالي . ومعاريض مالها مندوحة من التوالي من كل فريض يؤدي  
به فرض الجهاد . ورميض يعوض بياضه من العين في السواد  
ومعتدل تحذوله العوج . وبـرق خاطف تحمس وراءها  
المهوج . ومنزع لنزع المهج وقطع الود . اخـطف من  
الوميض . والحق من المريض . وأنظم من القريض . واشجى من  
الحريض . واشبى من الطرف الغضيب . وأعمل من السمر  
والبيض . والسـلطان يأمر . والحنايا تـوتر . والمنايا  
تؤثر . والأعنة تصرف . والأسنة ترهف . والحقائب  
تنعض . والمقانب تعرض . والجاليشية تشمر . والجاووشية  
تنصر . والسـوابق تضمر . والسـوابغ تـذشر . والصلادم  
تنضى . والـصوارم تنتضى . والسـلاهب تـجمع . والجنائب  
تمرح . وأيم الضراء تنساب . وغيم الغماء تنجاب . والنفوس  
مرتاحة الى التعب . والههم مشتاقه الى النصب . والجد شاغل عن  
العب . والعزم غالب باللغب . وصب بالوصب .

ذكر يوم حطين وهو يوم السبت الخامس  
والعشرون من شهر ربيع الآخر .

وأصبح الجيش على تعيبته . والنصر على تلييته . ووقف  
العسكر في قلبه وجناحيه وميمنته وميسرته أطالابا متقاربة  
متباعدة . وأنجادا متعاهدة متساعدة و آفا متضافرة . وأضعافا  
متضاعفة متظاهرة . وبرز رجال الجاليش . وارتجـز دعاء

التحريض والتحرير . وصفا لباس الناس على الكمي  
الكميش . وشرعت ثعالب الشرع في رعي الحشاشات رعي  
الحشيش . وتطائر في الجو على سنايك الهمام جراد النصل  
المريش . وكان طيور النصال ضلت ركونها فخربت حجب الأرواح  
للتقيش . وقامت الحرب على ساقها . ووفت بميثاقها . وأسرت  
اعنة عتاقها . وشرعت اسنة دقاقها . وأطالت رقاب  
رقاقها . وأبانت غايات سيقاقها . وأعلت رياحبات  
احتفالقها . وأحلت مذاق مذاقها . وأغلت أوساق  
أوساقها . وأغرقت سهام اطلاقها . وأطلقت لهام اعراقها . ومدت  
ظلال رواقها . ودارت كؤوس اصطباحها للاعتباط  
باغتباقها . وتحملت بغرم اجتماعها لغنم افتراقها . وأذهبت فرق  
مذهبا لساعة افراقها . ذلك والفرنج راكبة الجرد . متراكبة  
المدد . متكاثفة العدد . أخذت طريق البحيرة . بطوارق الحيرة . قد  
احاط رجلها بخيلها . جارية الى القرار بسيلها . أمواجهها  
ملتطمة . وأفواجها مزحمة . واطلابها منتظمة . ونيرانها ملتبهة  
ملتهمة . ونفعا مديد . ووقعها شديد . وحدها حديد . وجدها  
جديد . يأمنون المذنون . ويجذون الجذون . ويجرون الشمول  
والحزون . فاعترضهم مدنا . واعتراهم صدنا . وردت سيولهم  
بيضاتنا . وخیولهم عربنا . ووقعت لنا برمم حبالنا . وشوتهم  
بنيرانها نصالنا . فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا سلوك نهج  
الموت . وأنه لا مطمع في البقاء الا باستحلاء مطعم  
الفوت . والسلطان قد رفق قلبه . ووقف الى الوثوق بنصر الله  
قلبه . وهو يمضي بنفسه على الصدف . ويحضهم على حظهم من  
الفتوح او الحدوف . ويعدهم من الله بنصره المألوف . ويغري المثين  
يالالوف . وهم بمشاهدته اياهم يجيدون ويجدون . ويصدون العدو  
ويردون . وكان له مملوك اسمه مذكورس من اقمار الفلك . ومن  
شموس الترك . وأسود الفتك . ورماة الحدق . وكماء الخلق . قد  
علقتة الحور العين لحسنه . واستبشر رضوان بيمنه . وقلوب القبول  
في رهنة . وعقود العقول في وهنة . والكواعب الاثراب يشدقنه في  
جهات عدة . وكان الله برأي الاقامة منته . والمقام في جنته . ودعاه

الى قصور الجنان والحدور الحسان . وكان ظريفا طريفا . نظيفا  
عفيفا . طاهر النيل للنزاهة . ظاهر الميل الى النباهة . قد كمل الله  
له حسن الخلق والخلق . وفضله في الفروسية والسبق . وركب عنقه  
في الرق . وألهمه نصره الحق . وهو راكب امام العسكر . شائم  
غمام العثير . نامق عرف الكوثر . مستعفر تحت المغفر . مستنير في  
سنا الاستور مشرق كالقمر الأزهر . وأراد ان تكون له فضيلة السبق  
في الأقدام . فوثب بحصانه وثوب الضرغام . معتقلا الى الردى  
ربينيا . ومشتتلا للثرف مشرفيا . وممتطيا للاسـتقامة  
اعوجيا . وحمل حملة جرى فيها عنانه . وفرس سنانه . وماد فيها  
ميدانه . وشكر لها احسانه . ونكل عنها اقـرانه . وذفـذ  
طعانه . وظن انه موافق في الركض اعوانه . فجذبه لقوة رأسه  
حصانه . وخلا خلانه . وخانه اخوانه . فلما راه الفرنج  
وحيدا . ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا . عطفوا عليه . وزحفوا  
اليه . ورموه عن ظهر حصانه . وأحاطوا به في مكانه . فأثبت في  
مستدقع الموت رجله . وقاتل الى ان بلغوا قتله . فلما أخذوا رأسه  
ظنوا انه احد اولاد السلطان . وزعموا ظهور الكفر على  
الأيمان . فأما الشهيد فإنه انتقل الى جوار الرحمن في غرفات  
الغفران . وأما عساكرنا فإنها لما شاهدت استشهاده وجلده  
وجلاسه حميت حميتها . وأبت غير الغيرة ابيتها . وخلصت له في  
ارداء اعدائه بنيته . وصممت الجاليشية تصمي سهامها وتشوي  
اهل النار بنار ضرامها وتلفحهم بلوافحها . وتقـدحهم  
بقوايحها . وتسقيهم بجداول مناصلها . وترميهم بجنادل  
صواهلها . وترديهم بأربية رداها . وتغريهم بما يغرون من المنون  
عن مناها . وقد قست عليهم قلوب القسي لاوتار اوتارها . وتمور  
من الضوامر بجبالها . وتموج في البواتر في بحارها . وبرح بالفرنج  
العـطش . وأبـت عـثـرتـها تنتعش . ولانـت تنـتـشـور  
وتتشوش . وتتحرى وتتحرش . وتتوشح بالضراء والضراب  
وتتوحش . وتندشط على أنها تبطش . فتجد الطـرق  
مصدوبة . والسبل مسدوبة . والمسالك محدوبة والمهالك  
مورودة . وكان الذسيم أمامها . والحشيش تحت اقدامها . فرمى

بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش . فتأجج  
استعارها . وتوهج أوارها . فبلوا وهم اهل التلث من نار الدنيا  
بالثلاثة الاقسام : في الاصطلاء والاصطلام نار الضرام ونار  
الأوام . ونار السهام . فخلصوا من ورطة الاحتواء  
والاجترام . وضايقت زمائهم دماء الضراغم . وعارضت صقور  
بأستهم القشاعم . ولقيت العظام العظام . ودارت بمساعير  
الجحيم دوائر الاسعر الحواجم والجأناهم الى حملات اعجزوا بها  
وأزعجوا . وهاجوا وأوهجوا . وماجوا وموجوا وأجوا  
وأججوا . وارهبوا وارهبوا . فما ضعضعوا رواسينا الرواسخ  
ولا خلخلوا من مقامنا الشم الشوامخ .

ونظر القومص يومئذ الامر الى غايته . وراه غيه انه متورط في  
غيايته وان القوم في عين الوقم . وان صحتهم مفضية الى السقم .  
وانه تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم . وخانهم اخوانهم . واهت  
اصلابها صلابانهم . فافكر القومص كيف ينجو ويتخلص . فقال  
لهم : انا اسبق بالحملة . وافصلهم من الجملة . فاجتمع هو  
وموازروه . وجملة من المقدمين هم مضافروه . وصاحبه صاحب  
صيда وباليان بن بارزان . وتوامروا على انهم يحملون ويلفون  
الطعان . فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر  
تقي الدين . وهو مؤيد من الله بالتوفيق والتمكن . ونجوا بذقوسهم .  
وخلصوا من باس القوم وبؤسهم . ولما عرفوا ان القومص اخذ  
بالعزيمة ونفذ في الهزيمة . وهنوا وهانوا ثم اشتدوا وما لانوا .  
وثبتوا على ما كانوا . وقالوا : انما فر في شرنمة هم شرنمة .  
وعصبة قليلة بغير عصبة . واستقبلوا واستقتلوا . واستلحموا  
وحملوا فما وجدوا للنجح نهجا . ولا اصابوا لمن جاء لمصابهم  
شجى . وحملوا حملات راضوا بها جماح الحرب . وخاضوا فيها  
غمار الطعن والضرب . وعدموا فيها استطاعة القدر . بل طاعة  
القدر . واستعرنا النصر عليهم من النصل المستعر .

ووقعنا عليهم وقوع النار في الحلفاء . وصدبنا ماء الحديد

للإطفاء . فزاد في الإنكاء . واقترت مباسم البيض من استعبار  
عيون مقاتلهم في البكاء . وعبت دأماء الدماء . وشبت شبا الهندية في  
الفرنجية ضرام الضراء . وباح لنا سر السراء . فحطوا خيامهم على  
غارب حطين حين رأونا بهم محيطين . فاعجلناهم عن ضرب الخيام  
بضرب الهام . وازلنا اقدامهم عن مداحض الاقدام .

وخاطبناهم بكلام الكلام . وزحفنا زحفا مرتزا . وحفزنا زحفا  
ملتزا . ونقضنا من اطرافهم . وحضضنا من انكافهم . واحتست  
اذية الظبا طلاء الطلى . وارتعت ثعالب القنا كلاً الكلا . واكتست  
عرائس الهدى للعلى من دم الكافر الحلى . وخالطهم الفدريق  
المستطيل . والحريق المستطير . ومطروا ويل الوبيل . فالهب عليهم  
يومهم المطير . فما زالت اللجج تفيض . والمهج تفيض . ومنايع الكفر  
تفيض . وملاحم الاسلام تغيظ . والنفوس تقع . والرؤوس تطير .  
والقضب تدير . والقب تغير . ورحى الحرب تدور . وقوى الشرك  
تغور وتبور . واسد الوغى تجول وتجوور . ومراحل الراجل والفارس  
تفور وتثور . حتى كست اشلاء مهلوكيهم عرى العراء . وحست  
شفاه الشفار من افلاذ مملوكيهم احساء الدماء . ورست منا  
الهضاب حول ذلك التل . ورضيت اسدنا الغضاب بظهور القتلى  
بطون النمل . وتداعى جناب الاضطراب . وكشف الرائب شك  
الحجاب . وتفتحت ابواب الطعان والضراب . وكثر مرعى الثعلب  
والذئب . وتقطعت اشراك الاشراك . وتوزعت منه اكتاف الفتاك .  
وانكسر من الصليبي صلبه . وبطل طلبه . وعليت وغلبت غلبه .  
وقلب قلبه . وخذل حزبه . وجرت الحرب عليه حزنه . وجيرت كمامته  
وكمية وقبابه وقبه . واحتلأت بملاهم جهنم . ومالك عليهم الصليب  
الاعظم . وذاك مصابهم الاعظم . ولما شاهدوا الصليب ساليا .  
ورقيب الردى قريبا . ايقنوا بالهلاك . واثخذوا بالضرب الدراك .  
فما برحوا يؤسرون ويقتلون ويخمدون ويحملون وللوثوب يخفون .  
وبالجراح يثقلون . ومن مصارع القتل الى معاصر الاسر يثقلون .  
ويردون وهم لا يدرون . ويعقلون وهم لا يعقلون . وقرم بقوي  
القواطع مطعون . وقوم بجوى الجوامع يوصلون . والحديد تارة

يحل الاعناق وتارة يغلقها . واونه بالبري يعررها . ومرة بالسبي يذلها . ونكبوا في ارواحهم وانفسهم . ووصلنا الى مقدمهم وملكهم وابرنسهم . فتم اسر الملك . وابرنس الكرك . واخي الملك جفري . واوك صاحب جبيل، وهنفري بن هنفري ، وابن صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية ، واسر من نجا من القتل من الداوية ومقدمها . ومن الاسبتارية ومعظمها . ومن البارونية من اخطا به البال لما عز الدين . ودر البأس . ودارت عليهم بعقار عقرهم الكاس ° وقوي بنا الرجاء ومنهم اليأس ° وعروا من ملابس العز . وضفا عليهم من ملابس الصغار اللباس . وتعرضت للسوء في السوا وفي طول حسومهم الادراس . ووجبت في اجناس غنائمهم الاجناس . ولما جد بهم حكم القضاء لم يجدهم الاحتراز والاحتراس . ورسفت وارسفت الانفس والانفس . وانعقد الاجماع بتحليل تركيب جمعهم . ونص النصر وصح القياس . وجبر الاسلام بكسرهم . وقتلوا واسروا باسرهم . فمن شاهد القتل قال : ما هناك اسير . ومن عاين الاسرى قال : ما هناك قتيل . ومذاستولى الفرنج بساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين غليل . قاله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك . وهده من التوفيق لامثال امره ، واقامة فرضه النهج المسلوك . ونظم له في حتوف اعدائه والفتوح لا ولياته السلوك . وخصه بهذا اليوم الاغر . والنصر الأبر . واليمن الاسر . والنجح الادر . ولو لم يكن له الا فضيلة هذا اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة . فكيف ملوك العصر في السمو والسوم . غير ان هذه النوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة . ولعاهد النصر وقواعده مبرمة محكمة .

ومن عجائب هذه الواقعة . وغرائب هذه الدفعة . ان فارسهم ما دام فرسه سالما لم يذل للصرعة . فانه من لبسه الزردي من قرنه الى قدمه كأنه قطعة حديد . ودراك الضرب والرمى اليه غير مفيد . لكن فرسه اذا هلك فرس وملك . فلم يغنم من خيلهم ودوابهم - وكانت الوفا - ما هو سالم . وما ترجل فارس الا والطنع والرمي لمركوبه كالم وثالم . فما سلمت لهم دابة ولا ذابة . ولا مورد الروح سائبة

ولالنار الروح شابة . وغدمننا ما لا يحصى من بيض مكذون وزغف  
موضون . وبلد وحصون وسهول وحزون . وابتذلنا منهم بهذا الفتح  
كل اقليم مصون . وذلك سوى ما استبيح من مال مخزون .  
واستخرج من كنز مدفون . و... حاصلة . و... (٦) تحقق اهله .  
ومصاحبة قديمة . ومناصحة كريمة . ومراوحة في عمارة القلب .

واتفق انه سرقت لي في طريقنا الى حمص ثلاثة اجمال بما لها من  
عدة ورحال . وكنت قد سلوتها . وتمكن عني فوتها . فجاءنا هذا  
الامير بعد يومين . وقد اتانا من الجمال المسروقة بقطارين . وقال :  
لما سرتم عرفت ان وراءكم لصوصا وانهم ان ظفروا بجناح غادروه  
محصوصا . ورتبت اصحابي على الطرق . وفي المواضع البعيدة من  
العمارة ليتوصلوا الخارجيين من اهل الذعارة . فوجدوا هذه الجمال  
التي احضرتها . وقد حرمت على المفسدين الحركة وحظرتها .  
فتاملتها واذا جمالي بأعيانها . فشكرت همته الكريمة على  
احسانها . ونشد كل من له ضالة . فوجدها لاجل امن الطرق التي  
حفظ هذا الامير ورصدها . ولم تزل الثغور بسداده مسدودة  
والخطوب بصدده مصدودة . والظلال باشتماله ممدودة . والرعايا  
بسياسته محروسة . والبلاد بحراسته مسوسة . ورايات الكفر  
بنكاياته مذكوسة . وايات الدين بهدايته مانوسة . والمواضع  
معمورة . والمنافع موفورة . والصنائع مشكورة . والشرائع  
مشهورة .

وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم وعرفتهم وعرفتهم تنكرت  
معرفتهم . وتكرت صفوتهم بعد الايام السلطانية . وانقلب  
سجيتهم بعد الدولة الصلاحية . فهم صادقوني لصدق الحاجة .  
وصادفوني مقدما للذب عنهم تحت العجاجة . غائصا لاستخراج  
جواهر مقاصدهم لجج الحاجة . فلما استغذوا عني جهلوا معرفتي  
وانكروا عارفتي . وهذه سنة اخلاء الدنيا في بين الاخلال . ومله  
الملال . واستحالة الحال . وتعريض عرض الود لذلة الزوال . فما  
ابدعوا غريبا وما ابعدوا قريبا. ولا اعجبوا بانبا. ولا ابدوا عجيبا (٧) .

كتاب الفتح القسي في الفتح القدي

للعماد الأصفهاني الكاتب

obeykhanal.com

obeikandi.com

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وإن حقه لعظيم . ومن  
الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم .  
ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانيه إلينا بأنهما حادث  
وقديم . ونستزيده ونستديمه نعمه ولن يخيب على الشكر والرضا  
مستزيد ومستديم . ونستعين به على الدهر وقد فعل فإذا وهو الذي  
بيننا ( وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) ( فصلت : ٣٤ ) . والحمد  
لله الذي بدأ بنعمه متطولا . وبمزيده متفضلا . وعلمنا شكر فضله  
الموفور . وقبل منا عفو ذواتنا المنزور . فلا يكافنا من الشكر فوق  
الطاقة . ولا يطلع من النعم الطليعة إلا وراءها من المزيد الساقه .  
وقد وصف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب غافل منا عن  
الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عدما ينتاب منتابه راجيا  
وداعيا . ومستيقظا وساهيا . وصامتا ومتقاضيا . لنا منه على كل  
حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها . لسان شكرنا وضمير  
نكرنا . وباتت سارية إلينا لاطيفا بل حقيقة على نوم فكرنا . ثم إن  
الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عيينا وبليغنا . ومتجرعنا  
ومسيغنا . فتارة يقبله ضميرا مجمما . وتارة يحيط به قولا  
مترجما . ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات  
ضلوعه . ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه بنغمات  
مسموعة . وكيف لا ( يعلم السر وأخفى ) ( طه : ٧ ) من بعينه  
مسارحه . وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه . ونرغب إليه في أن  
يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإننا لانرضى بعفو  
استحقاقه من الوصف جهدنا . فنصل إليه صلواتنا وذؤدي إليه  
ودنا . ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أُننى . ونشكره  
على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به .  
فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في إقترابه .

ما كذب الفؤاد . ولا خاب المراد . ولا صدق المراد . وأين من أخبر  
عنه أنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأذك بالواد . فمن كان في  
روض القرآن يسرح . فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم نشرح .  
ونصلي على آله وأصحابه ولاة الحق . وقضاة الخلق . ورتقة  
الفتق . وغرر السبق . وألسنة الفرق . وفتحة الغرب والشرق .  
منهم من ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل  
العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها . وأحمد عبدة نيرانه أن  
يطعموها حطبا ولو وصلت إليهم لأكلتهم . وأحمد عبدة أوثانه عن أن  
يقعوا لها سجدا ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من أنفق في سبيل  
الله وجهز . ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على  
الكفار . ومنهم الأسياء إذا زاغت الابصار . ومنهم الساجدون  
الراكعون . ومنهم السابقون ومنهم التابعون . ومنهم نحن أهل  
الزمن الآخر . وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر .  
وسمانا أخوانا . واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن إنما نرد عليه  
تحيته والباديء أكرم . وإنما نرجو شفاعته بالمدودة التي قدمها  
والفضل للأقدم .

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الفرر  
المتجلية . وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية .  
ياخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول . ويكون حظ المستخبر  
أن يسمع والاديب أن يقول . فان فيه من الالفاظ ما صار معدنا من  
معادن الجواهر التي نولدها . ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا  
من ألسنة العجائب التي نوردها . وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال  
سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن التواريخ معتادها إما أن تكون  
مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى . وإما مستفتحة بمعقب من  
الدول الأخرى . فلا أمة من الأمم ذوات الملل . وذوات الدول . إلا  
ولهم تاريخ يرجعون إليه . ويعولون عليه . ينقله خلفها عن سلفها  
وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام . وتنصب به معالم  
الأعلام . ولولا ذلك لانقطعت الوصل . وجهلت الدول . ومات في أيام  
الأخر ذكر الأول . ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى . وأنهم نطف في

ظلمات الاصلاب طويلة السرى . وأن أعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقادم . لأدم . وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم . نرياتهم . لما أرادهم من ظهورهم . فليعلم المرء قبل انقضاء عمره . وقبل نزول قبره . ما استبعده أهل الطي من حقيقة الذشر . وتقبل في واحدة من الأطوار شهادة عشر . فقد قطع عمرا بعد عمر . وسار دهرًا بعد دهر . وثوى وأنشر في الف قبر . وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر . ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة . ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة . ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها . وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها . فأرخ بنو آدم بيومه . وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزاع مقام سومه . ثم أرخ الأولون بالطوفان الذي بلل الأرض وأغرقها . ثم بالعام الذي بلبل الألسن وفرقها ، وأرخت الفرس أربعة تواريخ لأربع طبقات من ملوكها أولهم كلشاه ، ومعني هذا الاسم ملك الطين . فإليه ترجع الفرس بأنسائها . وعليه يندسق عقد حسابها . وهي الآن تؤرخ بيزجرد آخر ملوكها وهو الذي بزى الاسلام تاج إيوانه . واطفاً نور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس أبي الاسكندر والى قلوب بطره آخرهم وهؤلاء المسمون بالحففاء وهم الصابئون ، وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره . وشهرة أثره . وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها . والازياج التي رصدوها . وأرخ اليهود بأنبياهم وخلفائهم . وبعمارة البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وأبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بنو ويسمى بقبل . وكانت غسان تؤرخ بعام الاسد حين أرسل الله عرم السيل . وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه ، وأرخت معد بغلبة جرهم للعالمليق وأخراجهم عن الحرم ، ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار فنقلوا منها . وافترقوا عنها . ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل

وهي حرب البسوس ، ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض  
وهي حرب داحس والغبراء ، وكانت قبل المبعث بستين سنة . ثم  
أرخوا بعام الخنابرة قال النابغة الذبياني :

فمن يك سائلا عني فإني  
من الفتیان في عام الخنابرة

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخالق و عام  
الذنائب ويوم ذي قار وبحرب الفجار . وهي أربع حروب ذكرها  
المؤرخون . وأسندها الراوون ، وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام  
بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع . وبحلف المطيبين  
وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ  
الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الأقلام .  
وأظهر الله على الأديان الدين القيم . ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ  
متقدم . فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم .

وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم . ودفع الله الناس  
بعضهم ببعض . واستدار الزمان كهياته يوم خلق الله السموات  
والارض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس  
ما يعيده إليهم مضاعفا من القرض . ووقت هذه الهجرة الوقت الذي  
أمر به أمر الاسلام . ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من  
بنيها الأيام . وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام  
الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن الاولى أمدها  
بالقيامة معذوق . وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع  
والصريح غير المذوق . وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت  
المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب  
وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق . وتسفر عن أهلتها  
دادىء المداد وتنشق . وهي وإن كانت هجرة الاسلام إلى القدس

ثانية . فقد كان انثني عن وطنه منها لما ثنته يد الكفر ثانية . وهذه الهجرة أبقى الهجرتين . وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرنتين . فإن العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر . والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نثر . والعيان يشهد أن أمنع السوريين ما عمر بعد أن ثغر . والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر . فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد . والوحي ماكاد يتعطل في طريقه من السماء إلى الأرض بريد . والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلسل سيوفها من أجفانها . والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الفتح منها بعيانها . ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة . ونجدات السماء إلى الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردمه . وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشارقها ومغاريها . وأنه سيدبلغ ملك أمته المثوية المرحومة ما ضمت عليه جوانبها . والروم حينئذ بغاث ما استنسر . والفرس يومئذ رخم ما استبصر . والحديد ما تدوعت أشكاله الرائعة . ولاطبعت سيوفه هذه القاطعة . ولا نسجت ثيابه هذه المانعة . والبروج لاتعرف إلا مشيدة لامجلة . والمنجنيقات لايتوثب ما يتوثب اليوم من خشبها المسندة . والأقران لاتتراجم بالنيران المذكاه . والأسوار لاتتناطح بالكباش المشلاه . وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا . والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون إلى الموقف حفاة عزلا . وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء . وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على لقاء الأعداء بذلك اللقاء . والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . وهريق شبابه واستشن أيدمه وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا . وقد أطلع شرف الستمئة وهي للملك المعترك . وكثرت معاثره بما نصب الشرك من الشرك . وأخلق الجبيدان ثوبه وكان القشيب . وذوى غصنه وكان الرطيب . ونصالت كفه وكانت الخضيب . وطال الأمد على القلوب فقست ورائت الفتن على

البصائر فطمست . وعرض هذا الأبنى قد أعمى وأصم حبه . ومتاع هذه الحياة قليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه . والكفار قد خشنت عرائكهم . واتسعت ممالكهم . واستبصروا في الضلال . واستبضعوا للقتال . وخرجوا من بيارهم يخطبون غاشية الموت . ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم من البر ناشية الصوت . وقاتلوا جندا ورعية . واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من أن تري استباحة ورعيه . وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . وأمدهم في طغيانهم يعمهون . ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح . واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجها إلا مزور الشفاه على القسطوب بلا بشر ولا مزج . شقرا كأنما لفتحت النار وجوههم وهم فيها كالدون . زرقا كأنما عيونهم من فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون . قد نزع الله الرقة من قلوبهم . ونقلها إلى غروبهم . وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم . واشتعلت نار جهلهم في فحم ندوبهم . تستعيز المردة من مردتهم . ويدعى للنار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم . فظاظ غلاظ . جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ . ( لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الفافلون ) ( الأعراف : ١٧٩ ) . خلق الله الخلق من طين وخالقهم من حجارة فهم المكني عنهم بوقود جهنم حين قال ( وقودها الناس والحجارة ) ( البقرة : ٢٤ ) والا فالحجارة لا تستحق الوقود . إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجمود في الجمود . ومضت ملوك الاسلام . ومضت أيامهم كالبارق وإن لم تخلع الاظلام . وزابت أيامهم الايام خبالا فتنازع الناس طرائف الاحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين . وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين . اللهم غفرا ( لكل أجل كتاب ) ( الرعد : ٣٨ ) ( كل يوم هو في شان ) ( الرحمن : ٢٩ ) ولكل مقدور أجل ولكل ما خلق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير . والايام تمخض وتمطل بالزبدة . والاسود تتلى إلى أن تأتي بالسجدة .

والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة . والعذر على كل لسان لكل قوم مدة .

إذا عجزوا قالوا مقادير قدرت  
وما العجز إلا ما تجر المقادير .

وأبى الله من يقبل عذرا صحيحا . وكفى بلفظة النبوة لوما صريحا . فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها . وأظهر الآية التي لا أخت لها فذقول هي أكبر من أختها . أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها . ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجاءت بواحدتها الذي تضاف إليه الأعداد . ومالكها الذي له السماء خيمة والحبك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد . والشمس دينار . والقطر دراهم . والأفلاك خدم . والنجوم أولاد . صلاح الدنيا والدين ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا . ورأينا بين منانا وبين كرمه بونا . فهو سبحانه أكرم بالذوال . منا بالسؤال . والكريم بكرم الله مجزي . والساكت عن الدعاء له مكفي . فان قلنا أحسن الله إليه فقد قال ( إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ) ( الكهف : ٣٠ ) وأن قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال : ( هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ) ( الرحمن : ٦٠ ) وان قلنا هداه الله سبيله فقد قال : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا ) ( العنكبوت : ٦٩ ) وأن قلنا لاضيع الله عمله فقد قال ( فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل ) ( آل عمران : ١٩٥ ) وإن قلنا لاجعل الله لدهر عليه سبيلا فقد قال : ( ما على المحسنين من سبيل ) ( التوبة : ٩١ ) وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال : ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) ( محمد : ١٧ )

كل مسؤل سائل

في معاليه قد كمل

لايسل فيه سائل

سبق الجود ما سأل

## وليصح تأملا

يجد الله قد فعل

ونعود إلى ذكره أعز الله ذكره . فجاد إلى أن لم يبق مال ولا أمل . وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قتل . فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو إلا فتحة فتح والدم نائب وفتح والذهب جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا . بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا . فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جيذا وزاد لأنه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها . واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهباً وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع تم نهبها فوهبها . فكل معاد معادى إلا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود إلا هذا المداد . ( أفسح هذا أم أنتم لاتبصرون ) ( الطور : ٦٥ ) أما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول القرائح . وما على يد الجود من قبل المدائح .

الناس أكيس من ان يمدحوا ملكا .  
ولم يروا عنده آثار احسان

وإنا لندرجو أن نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين آمنوا ان يكونوا معهم . وأن نكون قد كتبنا مع المحسنين لأننا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم . وإنا وإن كنا رعاياه لنرى أنفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقه . وإن القلم في أيدينا ليهتز طربا لذكره كأنه جان وكأن السيف يشنع بانه فروقه . ولسنا نسميه قصيرا وإن جدع أنفه . ولكننا نركبه كما ركب قصير العصا إلى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه . ونقول للقلم إذا فاخره السيف ( إن شائئك هو الأبتز ) ( الكوثر : ٣ ) . ونريد إذا أوردناه وصف مولانا ( أنا اعطيناك الكوثر ) ( الكوثر ) . على أن هذا القلم يلزم الادب لذكره أعلاه الله فينكسر رأسه . ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الأرض قرطاسه . ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر . وتشبيد هذه المآثر . من رجال الطعن والضرب الذين

فتحوا بين يديه . ووجبوا الحق عليه . بل حقي من حقوقهم أوجه  
وأوجب . وقلمي من سيوفهم أضرى وأضرب . ومن رماحهم أخطى  
وأخطب . ومن سهامهم انجي وأنجب . ومن قسيهم أكسى وأكسب .  
ومن جيادهم أسرى وأسرب . ومدادي من ذقهمم أغلى وأغلب .  
وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب . وسيوفهم قد أغمدت وجردت  
منه مالا يغمد ولا يعمد . وأثار السيف من الجراح قد رقأ دمها  
وأثاري من الذكر لاتخمل ولا تخمد .

وما السيف أشوى ضربه من لسانيا .

فكل أثر خبر به غيرى يموت الخبر بموته وينقطع صيت الأثر  
بانقطاع صوته . والذي أخبر أنا به عنه روض يزهو إذا أقلعت  
الايام سحبا . ونجم يبدو إذا أفاض الشفق على قضة النجوم زهبا .  
فهو قول يذكر وينسى كل فعل وفاعله . لا قول يؤثر مهما عاش اليوم  
عالمه ثم لا يأتي في غد إلا جاهله . فهذه الكتب نهب الأعمار الثانية .  
وتفاخر الألسنة القائلة بها الأيدي الكاتبة البانية . فانظروا إلى  
ايوان كسرى وسينية البحترى في وصفه تجدوا الايوان قد خرت  
شعقاته . وعفرت شرفاته . وتجدوا سينية البحترى قد بقي بها اسم  
كسرى في ديوانه . أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه . وإنما نراوح  
بين الأوصاف الغاية . وناوب بين السمات السامية . للإشارة إلى  
من ينزه على مسماه . وينزه بسيماه . فأما من يقول الله لاسمه أنت  
من معقبات حمدي . ويقول الدهر لذكره أنت الباقي من بعدي فانما  
يلزم الأدب بوصف فضله العظيم . ويرفع قدر القول بفضله وصفه  
الكريم ، ويسر الله هذه الفتوح . وأنزل بها الملائكة والروح . في أيام  
سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس  
أحمد بن الامام المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن الامام  
المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن الامام المقتدي بالله عبد الله بن  
النخيرة محمد بن الامام القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر  
بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله أبي  
الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق

بالله أبي أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر  
ابن الامام المعتصم بالله أبي اسحق محمد بن الامام الرشيد بالله  
أبي جعفر هرون بن الامام المهدي بالله أبي عبد الله محمد بن الامام  
المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس  
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين . وهي  
الأيام التي زاهر أيامها ذواه ومضاء مضاربيها للقضاء مضاه . فما  
أجلها فضلا وأفضلها جلالا . وأقبلها جدا وأجدها قبالا وأقربها  
ندى ونوالا . وأبعدها مدى ومنالا . وما أعلى سني مجدها . وأحلى  
جني رفسها . وأفهم ريا رياض فضائلها . وأفعم حيا حياض  
فواضلها . واسع سماء سماحها أمطارا . وأصح جناح نجاحها  
مطارا . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب  
ناصر دعوته . وداعي نصرته . وولي الطائع . وسيفه القاطع  
والمحكم بأمره . والمؤمر بحكمه . فرأيت إبداء ميامن هذه الأيام الغر  
على الآباد بفرر الآداب . وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد  
معاليها بهذا الكتاب . وأودعته من فوائد الكلام والفرائد الفذ  
والتوأم در السحاب ودر السحاب . وسميته الفتح القدسي تذيلا على  
جلالة قدره . وتذويها بدلالة فخره . وعرضته على القاضي الأجل  
الفاضل . وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال  
لي سمه ( الفتح القسي في الفتح القدسي ) فقد فتح الله عليك فيه  
بفصاحة قس وبلاغته . وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو  
القدرة في البيان عن صياغته . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث  
وثمانين وخمسائة بدأت بها . وأنشأت رياضي بسحبها . وما  
شهدت إلا بما شاهدته وشهدته . وما استمطرت إلا عهاد العهد الذي  
عهدته . وما عنيت إلا بايراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة الا على  
أس ما تبينته فبينته، وما توخيت إلا الصدق وما انهيت إلا الحق . ولا  
ذكرت كلمة تسقط . ولا اعتمدت إلا ما يرضي الله ولا يسخط .  
وبالله التوفيق والعصمة . وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسائة؛ وكتب الملك الناصر صلاح  
الدين يوسف بن أيوب إلى الاقطار والبلاد . يستدعي من جميع

الجهات جموع الجهاد . وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد .  
واستحضر الغزو . من الحضرة والبدو . وبرز من دمشق يوم السبت  
مستهل المحرم قبل استتجاد الجنود . واستحشاد الحشود .  
وإصحار الأسود . واحضار البيض والأسود . مضي العزم ماضي  
العزم . صائب السهم ثائب الفهم . ثابت السعود . كابت الحسود .  
وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج  
اليد القصرى . وأقام علي ارتقاب اقتراب الحجاج . وقد رتب  
الفرنج من الارصاد أفواجا على تلك الفجاج . لاسيما ابرنس  
الكرك . فانه كان حريصا على الدرك . ناصبا شر الشرك نصب  
الشرك . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد . عاود دخول حصنه حذار  
خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في أول صفر . وقد قضوا  
حاجهم . ورضوا منهاجهم . وخرجوا عن فرضهم . وبخلوا إلى  
أرضهم . وفرغ القلب من شغلهم . وخف مالزم من ثقلهم . وانتظر  
السلطان وصول العسكر المصري المستدعى . ورعى منه حصول  
العدد المسترعى . فأبطا عليه وروده . واختلفت في الاسراع وعوده .  
فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين عليا . ولم يزل مكانه عنده  
عليا . أن يقيم على رأس الأمراء برأس الماء . وتجتمع العساكر  
الواصلة منه تحت اللواء . وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه . إلى  
الكرك وضياعه . فأقام عليها يرهق ويزهق . ويحرب . ويحرق .  
ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتى ألحق الموجود بالمعدوم . وأتى  
بالقطع على البساتين والكروم . ورعى الزروع وعرى الضروع .  
واستأصل الأصول والفروع . حتى أقوت من الأقوات . واستعرت  
الغلة بغلاء سعر الغلات . وحلت أجال الأرزاق . وانحلت عرا  
الأرماق . واقفر بلد الشرك . وامتلأ من الكرد والترك . وسار إلي  
الشوبك فأسار به شوبا . وألحقه من عريه ثوبا . وأخلاه من زرع  
ونبات . وفرغه من أقوات وقوات . وأذهب ضياء تلك الضياع .  
وأزال بقاء تلك البقاع . وجاس الخلال . وداس الغلال . وقشر  
الثرى ويشره . وحشر الردى ونشره . وسلب قرار القرى وسكون  
مسكونها . وفجع الفرنج بكرمها وزيتونها . فقد عدم ليلها  
المصباح . وصباحها الاصباح . ووصل عسكر مصر فتلقاه

بالقريتين . وفرقه على أعمال القلعتين . وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء . في جمع عظيم من العظماء . وعنده الجحافل الحافلة . والحواصل الواصلة والعساكر الكاسره . والقساور القاسره . والبواتر الواتره . والخضرم الضرم . والعمرم العرم . والهام الملتهم . والجيش الجائش . والترك والأكادش . والجذود والبذود . والاسود السود . والفيالق الفواق . والبيارق البوارق . وبنات الاغماد قد برزن من خدورها حبا لمعانقة العدى . ظلمات إلى ورد الوريد وما أحسن حلبي نجيع الكفر على عرائس الهدى . والعزم يستنهضه . والعز يحرضه . والدين يستبطيه . والنصر يستعطيه . والقدر يحركه . والظفر يدركه . والكفر قد مات من زعره . والاسلام قد مت بعزره . وهو ينتظر أمرا من أبيه يأتيه بما يأتيه . ويكتب إليه ويقتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه . ولما استمر تأخر الأمر استمر التأخير وقدم في الاقدام التبكير والتكبير . وانتهز الفرصة واحرز الحصاة . وانتحى وانتخب الاجناد الانجاد . وجرده الجرد واستجاد الجياد . وسرى السرية السرية . وأمرها بالغارة على الغرة بأعمال طبرية . ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك المقدم المقدم . والهام الهمام . والأسد الأسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكري دمشق قايمان النجمي ، وعلى عسكري حلب دلرم الياروقي . فساروا مدججين . وسروا مدلجين . وصبخوا صفورية ( فساء صباح المنذرين ) ( الصافات : ١٧٧ ) . فخرح اليهم الفرنج في جمع شاك . وجمر ذاك . وقنطاريات طائرات . وسابريات سابغات . ولداوى دوي وللاستباري هوي . والباروني يقدم على البوار والتركبولي يلقي نفسه على النار . وقد ثاروا والثار قد وقد والجو قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج . وارتجز عجاج العجاج . وانفض الفضاء وانقض القضاء . وكادوا يفلون الجمع ويجمعون القل . ويحلون العقد ويعقدون ما انحل . فثبت قايمان النجمي في صدورهم . وأشرع الأسنة الى نحوهم . وروى الهازم من تامورهم . وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم . ولايكثرث بكثرتهم ويستقلهم . ولقيهم دلرم بالوجه الأبيض . والعزم الأنهض . والجد

الأجد . والحد الأحد . وانجلى الفبار . وقد عم الفرنج القتل  
والاسار . وفجع بقتل مقدمهم الاسبتار . وأقلت مقدم الداوية وله  
حصاص . ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلك محاص . واخلفت  
رنة السراء أنة الاسراء . وكانت هذه الذوبة بلا نبوة . والهبة بلا  
هبوة . وسكنت القلوب بهذه الحركة . وركنت النفوس إلى هذه  
البركة . وسارت البشرى وسرت . ودارت النعمى ودرت . وعد ذلك  
من إقبال الملك الافضل . وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة  
بالنصر . وأحسنت الألسنة في الشكر . هذا العساكر في كل يوم  
يفدون ويفيدون . وفيما يجدون الطريق إليه من الذكاية في العدو  
يجدون ويجيدون . وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك . فأيقنت الآمال  
بالنجاح والدرك . وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل  
السير بالسرى وخيم بعشتر . ففصت بسيول الخيول الوهاد  
والذرى . واجتمع به ولده . وقر عينا بشبل العرين أسده . وما  
رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر . ولا أكثر للكفر ولا أكثر . وكان  
يوم عرضه مذكرا بيوم العرض . وما شاهده الا من تلا ( وله جنود  
السموات والأرض ) ( الفتح : ٤٠ ) . في الوية كأنما عقدتها حور  
الجنان بخمرها . وبيارق كأنما حبها أنف الرياض بزهرها . ويوم  
كالليل عجا . وليل كالיום ابتالاجا . ومناصل بالمنى صلت .  
وقساطل بالقسي طلت . وفيلق لهام يفلق . وقلوب يمانية رفاق في  
صدور الاغماد تقلق . وطيور سهام من أوتار الحنايا إلى أوكار  
المنايا تمرق . وسوابغ مفاضه . وسوابق مرتاضه . وهضاب  
راسيات . وهواضب ساريات . ولما تم العرض . حم الفرض .  
وتعين الجهاد . وتبين الاجتهاد . واضطربت السهول والوعوث .  
وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجم .  
وزخرة اليم الخضم . وبروز التوحيد إلى التثليث . وانتهاض الطيب  
لأنحاض الخبيث . فخافوا وخابوا . وهبوا وهابوا . وعرفوا أن  
حزبهم مخذول . وأن غربهم مفلول . وأن حدهم مثلوم . وأن جندهم  
مهزوم . وأنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله . وأن الايمان كله برز  
إلى الشرك كله . وقد كان بينهم حينئذ خلاف مذبعث . وحلف منتكث .  
ووقع نفار بين الأنفار . ووقود شرار بين الشرار . ولما استندوا

حين حينهم . سعوا في إصلاح ذات بينهم . ودخل الملك على القومص . ليتقمص له بالود الأخلص . ورمى عليه بنفسه . واستبدل وحشته بأنسة . فاصطحبا بعدما اصطلحا . وأصحبا بعد ما جمحا . وتزاورا الفرنج وتوازروا . وتأمروا ما بينهم وتشاوروا . وقالوا هذا دين متى بنا منه الوها هوى . وعود إذا عاده الأذى ذوى . فالمسيح لنا . والصليب معنا . والمعمودية عمدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا . وصحافنا صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء . ومع أودائنا الداوية الأدواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاسبتار بتار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص والصلاد . والصعب والصعاد . وفي كل قنطاري قنطار . ولكل سابري من اسنتنا مسبار . وقد عم بحرنا الساحل . وشددنا به المعاهد والمعائل . وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة . وأرماحنا إلى هذه الغاية من الأسواء أسوار هذه البقاع والامكنة . وسلطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا إلينا ويسالمون . ويبدلوا لنا القساطع ويقاطعوننا . وطالما ناصفوننا وما صافوننا . وهادونا وهادوننا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم . فقال القومص وكان محربا مجريا . متدبر متدريا . هذا صلاح الدين لا يقاس بأحد من السلاطين لتسلطه . واقدامه على المخاوف وتورطه . وإن كسر كم مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغة والمفاورة والصبر . والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه . ولا نخالفه ونقبل شرائطه . فقال له الملك : أنت قد قلبتك الآفه . وفي قلبك المخافه . وأنت للخور رخو . والخشية حشو . وأنا لا بد أن أصدمه وأصدته . وأكدمه وأكده . وأرأده حتى أرده . وأقيم صليب الصلابوت فلا يقعد عنه من أهل الأحد أحد . وأمد يد الأيد لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة يد . فقبل القومص قوله على مضض وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض . ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق . وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق . اشتغلوا بالحشد والحشر والطي والذشر .

## ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلاف

لما هلك الملك اماري بن فلك في آخر سنة تسع وخمسمائة خلف ولدا مجذوما. وكان مع الوجود معدوما • قد أعضل داؤه • وأيس شفاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع امراضه بامراسه • ونفذوا في ضرمه • وتسمنوا بورمه • وصحوا بسقمه ورقوا في سلمه ، ورضوا بتقدمه • واكبروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجنا (١) ملكهم هذا ولا يكرثون بجذامه • ويحمون حماه ان يحم حلول حمامه • وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا • معاررا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما احس بهلاكه • وسكون حراكه . احضر البطرک والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التطاول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص (٢) يكفيه مدة سني صغره • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الان لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القومص الوصية • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقاصية • وسكن بطبرية فان صاحبته كانت تزوجت به ، وطمعت في قوته وقربه • وهلك الملك المجذوم • وظهر المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالاً فعدم موافقة الداوية • وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب • وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب • ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه • ويحظى من مواهبه • فاشتد ازره واشتد امره • واستقل بنفسه ، واستولى على جنسه • حتى مات الملك الصغير • فانتقل الملك منه الى امه • وبطل ما كان في عزم القومص برغمه • وانتقل الملك اليها • واجتمع الفرنج عليها • فقالت لهم زوجي أقدر وهو احق بالملك واجدر • واخذت التاج من رأسها فوضعت على رأسه • وعاش رجاءه بعد يأسه • ورأى غناه بعد افلاسه • وانتاش إبليس بعد ابلاسه • وقامت قيامة القومص باجلاسه • وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاه • فما اجاب دعوته

مرتمى • ولكل نام منتمى • ولكل سام مسمى • ولكل اسم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لاينتقل عنه • ولايغيب جمعه ولايبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماسة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه حياة عساكرنا ، وصورة مواردنا ومصادرنا • ومواضع اطلاقنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا • وميادين جردنا • وبساتين وردنا • ومواقف صروفنا • ومصارف وقوفنا • ومرامي مراننا • ومجالي مجالنا • وقوى الآمال بما بذله من الاموال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • وهب الجياد واجاد المواهب • ورغب في العطايا واعطى الرغائب • ونثر الخزائن • ونذل الكنائن • وانفق النخائر • واستتد كرائمها والاخير وقسم احمال النشاب • فتفرق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • وانكى المذاكي واشهد الاشهاد • وانال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القى—واطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابرامله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلج محياه • وايقن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية للتأمين • وتيمن باوضح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضاء بين الدين • وانس ببهجة الخيل ولهجة الخير • وسر سره بما سرى له من وجه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • والجم العراب للعراء .

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مساييره • والتأييد مؤازره • والتمكن مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكآثره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكركه • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة • والكتائب المكتبة • والمراتب

المرتبة • والمذاهب المهذبة • والسلاهب المجنبة • والصوائب  
المجعية • والقواضب المقرية • والثعالب المذرية • واللهانم  
الهائمة • والصلادم اللازمة • والضراغم الضاغمة • وخيم على  
خسفين . وقد انى الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكسف الكفر  
وكسوفه • وبات والوجوه سافرة • والعيون في سبيل الله ساهرة •  
والايدي لسيوف الايد شاهرة • والالسن لانعم الله شاكرة •  
والقلوب بالاخلاص عامرة • والالفس للانس مسامرة • والاقدام  
بالاقدار متضافرة متظاهرة .

ثم اصبح سائرا ونزل على الاربن بثغر الاقدوانة • بعزم  
الصيال وعز الصيانة • واحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط •  
وضاق ببساط خيامه ذلك البسيط • وبرزت الارض في قشب  
اثوابها • ودفحت السماء لتنزل الملائكة من ابوابها • ورسن سفن  
المضارب على تلك الانباج • وطمت الاطلاب امواجا على امواج •  
وانعقدت سماء العجاج • وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج •  
واعاد الاقدوانة رياضنا نضرة • وحدائق مزهرة • من فرس رد  
وفارس كالاسد الورد • ومشرفيات كبطاقات الرياحين • ويزنيات  
كاشجار البساتين • ورايات صفير تخفق بعنايات الياسمين •  
والوية حمر كشقائيق النعمان • وموضوعة زغف كالغدران •  
ومصقولة بيض كالخلجان • ومريشة زرق كالاطيار • ومحنية عوج  
كالافنان • وبيض تلمع كثغور الاقدوان • وجيب ترانك على بحور  
الدارعين • وعقبان صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين •  
والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية • ولووا الالوية على مدود  
الضوامر الزواخر قناطر القنطاريات • واوقدوا في ظلام القتنام  
الثائر سروج السريجيات • وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات  
اليزنيات • واحاطوا حول مراكزهم بدوائرهم • وحاطوا  
بواشرهم • وجمعوا الاوشاب والاباش • ورتبوا الجيش •  
وثبتوا الجاش ، وحشدوا الفارس والراجل • والرامح والنابل •  
ونشروا الذوابل • وحشروا ابطل الباطل • ورفعوا صليب  
الصلبوت • فاجتمع اليه عباد الطاغوت • وضلال الناسوت

واللاهوت • ونادوا في نوادي اقباليهم اهل الاقانيم • وصالوا  
الصليب الاعظم بالتعظيم ، وماعصاهم من له عصا • وخرجوا عن  
العد والاحصا • وكانوا عدد الحمى • وصاروا في زهاء خمسين  
الفا ويزيدون • ويكيدون مايكيدون • قد توافوا على صعيد •  
ووافوا من قريب وبعيد • وهم هناك مقيمون • لا يرومون حركة  
ولا يريمون • والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم  
ويشرف عليهم • ويراميهم • ويذكي فيهم • ويتعرض لهم  
ليعرضوا له • ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله •  
قربضوا وماذبضوا • وقعدوا ومانهضوا • فلو برزوا لبرز اليهم  
القتل في مضاجعهم • وعانوا مقام صارعهم • في سوقهم الى  
مصارعهم • وفزعوا مما فيه وقعوا • وجذبوا عما له تشجعوا •  
فراى السلطان ان يطيب ربه • من طبرية ويشرف على خطتها  
بالخطية والمشرفية • ويحوز حوزتها ويملك مملكتها • فجر على  
الاردن اردان الرينيات • واطلع الذقع المثار من البحر بحوا فر  
الاعوجيات • واستسهل عليها ولم يستوعر عربيات العربيات •  
فأمر عساكره • وامراء جيشه واكابره • ان يقيموا قبالة الفرنج •  
ويضيقوا عليهم واسع النهج • فان خرجوا للمصاف بادروا الى  
الانتقام منهم والانتصاف • وان تحركوا الى بعض الجوانب . وثبوا  
بهم وثوب الاسود بالارانب . وان قصدوا طبرية لصونها وان يكونوا  
في عونها . عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام .

## ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خـواصه ، وذوي اسـتـخلاصه . واحضر  
الجاندارية والنقابين . والخراسانية . والحجارين . واطاف  
بسورها • وشرع في هدم معمرورها . وصدقها القتال . وماصدف  
عنها النزال . وكان ذلك يوم الخميس . وهو يؤم الخميس . واخذ  
النقابون الذقب في برج فهدوه وهدموه . وتسلفوا فيه وتسلموه .

ودخل الليل وصباح الفتح مسفر . وليل الويل على العدو معتكر .  
وامتنعت القلعة بمن فيها . من القومصية . ست طبرية وبنيتها . ولما  
سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده . سقط في يده . وخرج عن جلد  
جلده . وسمح للفرنج بسبده ولبده . وقال لهم لا تعود بعد اليوم .  
ولا بد لنا من وقم القوم . واذا اخذت طبرية اخذت البلاد . ونهبت  
الطراف والتلاد . وما بقي لي من صبر . وما بعد هذا الكسر لي جبر  
وكان الملك قد حالفه . فما خالفه . ووافقه . وما ناقه . وما حضه فما  
ماذقه وواوده فما رآده . وواعده فما عاوده . ورحل بجمعه . وبصره  
وسمعه . وثعابينه وشياطينه . وسراجينه وسرايينه . واتباع غيه .  
واشياء بغيه . فمادت الارض بحركته . وغامت السماء من غبرته .  
ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا . وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا .  
وعبوا وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشبوا النار . ولبوا الثأر .  
وقدموا للنزل بالدار البدار . وذلك يوم الجمعة رابع عشرين ربيع  
الآخر . فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه . بما سبق به حكمه .  
وسر حين احاط بمسيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب . وكمل  
المخطوب . وجاءنا ما يزيد . ولنا بحمد الله الجد الجديد . والحد  
الحديد . والبأس الشديد . والنصر العتيد . واذا صحت كسرتهم .  
وقتلت واسرت اسراتهم . فطبرية وجميع الساحل . مادونها مانع .  
ولا عن فتحها وازع . واستخار الله وسار . وعدم القرار . وجاء يوم  
الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر والفرنج سائرون الى طبرية  
بقضهم وقضيضهم . وكانهم على اليفاع في حضيضهم . وقد ماجت  
خضارمهم . وهاجت ضراغمهم . وطارت قشاعمهم . وثارت غماغمهم  
وسدت الافاق غمائهم . وشاقت ضاربيها جماجمهم . وهم كالجبال  
السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة . وافواجها مزندمة .  
وفجاجها محتدمة . واعلاجها مصطامة . وقد جوى الجو . وضوى  
الضو . ودوى الدو . والفضاء منفض . والقضاء منقض . والثريا قد  
استزار الثرى . وجر نيل الخيل قد برى البرى . والحوافر الحوافز  
للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . وذئاب  
النياد واجلاد الجلاد قد حملوا كل عده . وكملوا كل عدة . فرتب  
السلطان في مقابلتهم اطر اطلابه . وقصر على مقاتلتهم ارابه .

وحصل بعسكره قدامهم . ورقب على الحملة اقدامهم . وحجز بينهم  
وبين الماء . ومنع ذمامهم على الذماء . وحلاهم عن الورد . وصدعهم  
بالصد . ذاك واليوم قيظ . وللقوم غيظ . وقد وقدت الهاجرة .  
فوقدتها غير هاجرة . وشربت ماكان في اداوتها فهي على الظما غير  
صابرة . وحجز الليل بين الأفريقيين . وحجرت الخيل على الطريقين .  
وبات الاسلام للكفر مقابلا . والتوحيد للتذليل مقاتلا . والهدى  
للضلال مراقبا . والايمان للشرك محاربا . وهيئت دركات النيران .  
وهنئت درجات الجنان . وانتظر مالك واستبشر رضوان . حتى اذا  
اسفر الصباح . وسفر الصباح . وفجر الفجر انهار النهار . ونفر  
الذفير غراب الغبار . وانتبهت في الجفون الصوارم . والتهبت في  
الضوامر الضوارم . وتيقظت الاوتار . وتغيظت النار . وسل الغرار .  
وسلب القرار . خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال اهل النار .  
ورنت القسي وغنت الاوتار . ورقصت مران المراد . لجلاء عرائس  
الجلاد . وبرزت البيض من ملائها في الملا عارية . ورتعت السمر  
لكئها من الكلى راعية . فرجا القرنج فرجا . وطلب طلبهم المحرج  
مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا . وبرح بهم حر الحرب فما برحوا .  
وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء .  
فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصممت عليهم قلوب القسي القاسية  
واصمتمهم . واعجزوا وازعجوا . واحرجوا واخرجوا . وكلما حملوا  
ردوا وارادوا . وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا . وما دبت منهم  
نملة . ولا ذبت عنهم حملة . واضرموا واضطربوا . والتفهوا والتهبوا .  
وناشبهم الذشاب فعادت اسودهم تنفذ . وضايقتهم السهام  
فوسعت فيهم الخرق النافذة . فأووا الى جبل حطين يعصمهم من  
طوفان الدمار . فأحاطت بحطين بوارق البوار . ورشفتهم الظبا .  
وفرشتهم على الربا . ورشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا .  
وقرشتهم البلايا . ورقشتهم الرزايا . وصاروا للردى درايا .  
والقضايا رمايا . ولما احس القومص بالكسرة . حسر عن ذراع  
الحسرة . واقتال من العزيمة . واحتال في الهزيمة . وكان ذلك قبل  
اضطراب الجمع واضطرام الجمر . واحتداد الحرب واحتدام الحر .  
فخرج بطلبه يطلب الخروج . واعوج الى الوادي وماود ان يعوج .

ومضى كومض البرق . ووسع خطا خرقة قبل اتساع الخرق . وافلت في عدة معدودة . ولم يلتفت الى ردة مردودة . وغاب حالة حضور الوعي . ونابه الرعب الذي نوى الهزيمة به وماونى . ثم استجرت الحرب . واشتجر الطعن والضرب . واحيط بالفرنح من حوالهم بما حووا اليهم . ودارت دائرة الدوائر عليهم . وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم . فحطوا على حطين مضاربهم . وقلت حدود الرماة مضاربهم . واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها . وشغلوا عن اصل الحياة وفرعها . وترجوا خيرا فتـرجلوا عن الخيل . وتجادلوا وتجادلوا فجرفهم السيف جرف السيل . واحاط بهم العسكر احاطة النار بأهلها . ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حزامهم الطبيين من سهلها . واسر الشيطان وجذوده . وملك الملك وكذوده . وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى . وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى . فقدم بدائه مقدم الداوية . ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاستبارية . واحضر الملك كفي واخوه جفري . واوك صاحب جبيل وهذفري . والابرنس ارناط صاحب الكرك . وهو اول من وقع في الشرك . وكان السلطان نذر دمه . وقال لا عجلن عند وجدانه عدمه . فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه . وقرعه على صدره وذكره بذنبه وقال له:كم تحالف وتحذث . وتعهد وتتكث . وتبرم الميثاق وتدنقض . وتقبل على الوفاق ثم تعرض . فقال الترجمان عنه ان يقول قد جرت بذلك عادة الملوك . وما سلكت غير السنن المسلوك . وكان الملك يلهث ظميا . ويميل من سكرة الرعب منتشيا . فأنسه السلطان وحاوره . وفتا سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه . وامن قلبه . واتي بماء مثلوج ازال لهثة وأزاح من العطش ماكرثه . وناوله الابرنس ليخدم ايضا لهبه . فأخذه من يده وشربه . فقال السلطان للملك لم تأخذ مني في سقيه أننا . فلا يوجب ذلك له مني أمنا . ثم ركب وخلصهما . وبنار الوهل اصلاهما . ولم ينزل الى ضرب سرادقه . وركزت أعلامه وبيارقه . وعادت عن الحومة الى الحمى فيالقه . فلما نخل سرادقه . استحضر الابرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه . وحين صرع . امر برأسه فقطع وجرد برجله قدام الملك حين اخرج . فارتاع وانزعج . فعرف السلطان انه

خامره الفزع . وساوره الهلع وسامرہ الجزع . فاستدعاه واستدناه  
وامنه وطمنه . ومكنه من قربه وسكنه . وقال ذاك رداءته اودته .  
وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيه وبغيه ونبازند حياته ووردها  
عن وريه وريه . وصحت هذه الكسرة . وتمت هذه النصرة يوم  
السبت وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد . وكانوا اسودا  
فعادوا من النقد . فما افلت من تلك الالاف الا احاد . وما نجا من  
اولئك الاعداء الا اعداد . وامتلا الملا بالاسرى والقتلى . وانجلى  
الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقيدت الاسارى في الحبال واجبة  
القلوب . وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب . وحطت  
حطين تلك الجيف عن متنها . وطاب نشر النصر بنتنها . وعبرت  
بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملقى ملقاه . بالعراء عراة . ممزقة  
بالمزق . مفصلة المفاصل . مفرقة المرافق . مفلقة المفارق .  
محدوفة الرقاب . مقصوفة الاصلاب . مقطعة الهام . موزعة  
الاقدام . مجدوعة الأناف . منزوعة الاطراف . معضاة الاعضاء .  
مجزاة الأجزاء . مفقوعة العيون مبعوجة البطون . مخصوبة  
الضفائر . معضوبة المرائر ، مبرية البنان . مفرية اللبان مقصومة  
الاضالع . مفصومة الاشاجع . مرضوضة الصدور . مفضوضة  
النحور . منصفة الاجساد . مقصفة الاعضاد . مقلصة الشفاه .  
مخلصة الجباه . قانية الذوائب . دامية الترائب . مشكوكة الاضلع  
مفكوكة الاذرع . مكسورة العظام . محسورة اللثام . بائدة  
الوجوه . باية المكروه . مبشورة الابشار . معشورة الاعشار .  
ممشورة الشعور . مقشورة الظهور . مهدومة البنيان . مهتومة  
الاسنان . مهركة الدماء . مرهقة الذماء . هاوية الذرى . واهية  
العرى . سائلة الاحداق . مائلة الاعناق . مفتونة الافلاذ . مبتوتة  
الاقخاذ . مشدوخة الهامات . مسلوخة اللببات . عديمة الارواح .  
هشيمة الاشباح . كالأحجار بين الاحجار . عبرة لاولي الابصار .  
وصارت تلك المعركة بالدماء ادماء . وعادت الغيرة حمراء . وجرت  
انهار الدم المنهمر . وسفر تلك الخباثت المظلمة وجه الدين المطهر .  
فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث . وما الهب عذابات العذاب  
في تلك الجثث . وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث . وما

أجزى صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذا وحساب من قتل فقد  
حصرت السنة الأمم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف  
اطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين  
يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس •  
وهناك العتاة عناة • والعداة عراة • وذوو الاسرة أسرى • وأولو  
الاثرة عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس فرائس • وغوالي  
الارواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية عوابس • والرؤوس تحت  
الاخامص • ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والمخالص • فكم اصيد  
صيد • وقائد وقيد • ومشرك مكشر • وكافر مفكر • ومثلث  
منصف • ومكيف مكثف • وجارح مجروح • وقارح مقروح • وملاك  
مملوك • وهاتك مهتوك • ومتبر مبتور • ومحسر محسور • وكاب  
في الكبول • ومغتال في الغلول • وحر في الرق • ومبطل في يد المحق •

## ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصلابوت • واهلك دونه اهل  
الطاغوت • وهو الذي اذا نصب واقيم ورفع • سجد له كل نصراني  
وركع • وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها  
معبودهم ومسجودهم • وقد غلفوه بالذهب الاحمر • وكللوه بالدر  
والجوهر • واعدوه ليوم الروع المشهود • ولوسم عيدهم الموعود •  
فاذا اخرجته القسوس • وحملته الرؤوس • تبادلوا اليه • وانثالوا  
عليه ولا يسع لأحدهم عنه التخاف ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في  
نفسه التصرف • واخذ اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب  
لهم في ذلك المعترك • فان الصليب السليب ماله عوض • ولا لهم في  
سواه غرض والتأله له عليهم مفترض • فهو إلههم • وتعفر له  
جباههم • وتسبح له افواههم • يتغاشون عند احضاره • يتعاشون  
لابصاره • ويتلاشون لآظهاره • ويتغاضون اذا شاهده •  
ويتواجدون اذا وجدوه • ويبذلون دونه المهج • ويطلبون به الفرج بل  
صاغوا على مثاله صلابانا يعبدونها • ويخشعون لها في بيوتهم

ويشهدونها . فلما اخذ هذا الصليب الاعظم عظم مصابهم . ووهت اصلابهم . وكان الجمع المكسور عظيما . والموقف المنصور كريما . فكانهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يتخلف احد من يومهم العصيب . فهلكوا قتلا واسرا وماكوا قهرا وقسرا . ونزل السلطان على صحراء طبرية كالاسد المصحر . والقمر المبدر .

### ذكر فتح حصن طبرية

ونذب الي حصنها من تسلمه امانا . واسكنه بعد الكفر ايمانا . وكانت الست صاحبة طبرية قد حتمته . ونقلت اليه كل ما ملكته وحوته . فأمنها على اصحابها واموالها . وخرجت بذسائها ورجالها ورجالها . وسارت الي طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها . وغادرت طبرية اهلة آمنة باهل الايمان . وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي ، وهو من الاكابر الاعيان . وهذا الملك الناصر نازل ظاهر طبرية . وقد طب البرية . وعسكره طبق البرية .

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتيارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الاخر بعد الفتح بيومين . طلب الاسارى من الداوية والاسبتيارية ، وقال : أنا أظهر الارض من الجذسين النجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين . فأحضر العسكر في الحال مئتين . وامر بضرب اعناقهم . واختار قتلهم على استرقاقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف . وعدة من ذوي التعفف والتعيف . فسأل كل واحد في قتل واحد . وسل سيفه . وحسر عن ساعد . والسلطان جالس . ووجهه باشر والكفر عابس . والعساكر صفوف . والامراء في السماطين

وقوف . فمنهم من فرى وبرى وشكر . ومنهم من ابى ونبا وعذر .  
ومنهم من يضحك منه . ويذوب سواه عنه . وشاهدت هناك الضحوك  
القتال . ورأيت منه القوال الفعال . فكم وعد انجزه . وحمد احرزه .  
واجر استدامه بدم اجراه . وبر اعنق اليه بعنق براه . ونصل  
خضبه . لنصر خطبه . واسل اعتقله . لاسد عقله . وداء داواه  
لداوي ادواه . وقوة اهداها لهداة قواها .

ولواء نشره للاواء طواها . وكفر أماته لاسلام أحياء . وشرك  
هدمه لتوحيد بناه . وعزما مضاهها . لامة ارضاهها . وعدو قصمه .  
لولي عصمة . وسير ملك الفرنج وأخاه وهذفري وصاحب جبيل  
ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا  
السجون . وتستبدل حركاتهم السكون . وتفترقت العساكر بما حوته  
أيديهم من السبي ايدي سبأ وخمد جمر جمع الكفر وخبا .

## ذكر فتح عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التثليث ميلا  
للطيب . مزيلا للخبث . وسار عسكره . وثار عثيره . وظهرت  
راياته . وبهرت آياته . ونعرت كوساته . وصاحت بوقاته . وجالت  
خيوله . وسالت سيوله . وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصاته  
وقلعت قلائع تلك الجبال جبال فرسانه . وحفرت مآفر الصلاد م  
أصلاب الصلاد الصلاب . وفصحت باعراب الحماحم صواهل  
الجياد العراب . والاسنة مشرعة . والأعنة مسرعة . وبحور السوايح  
متموجة وغدران السوايح مترجرجة . وبوارق البيارق متبرجة .  
وأوضح الجرد وغررها كأوضح النصر وغرره متبلجة . ونزل عشية  
بأرض لوبية لداعي الفتح ملييا . ولجيش النصر معيبا . ولولود  
الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مرييا . وبات بها معرسا بانيا  
على عروس الظفر البكر . جانيا ثمار الاماني من غروس البيض

والسمر • وأصبح وقد اصحب جماح الدهر • وصح نجاح الأمر •  
وحص جناح الكفر • واسفر فجر الفرج • وسفر وجه البهج • وسار  
سارا سره بارا بأرباب الدين بره • زائرة أسوده • طائرة بذوده •  
ظاهرة جنوده زاهرة جدوده • سامية أضواؤه • هامية أنواؤه • رائعة  
مواكبه • رائقة مراكيه • مجنبة عتاقه • فكان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سير للفقير الى نصرته من يثري به • وهذا الأمير عز  
الدين أبو فليته القاسم بن المهنا الحسنى قد وفد في تلك السنة أو ان  
عود الحاج • وهو ذو شيبة تقد كالسراج • وما برح مع الملك الناصر •  
مأثور المأثر • ميمون الصحبة • مأمون المحبة • مبارك الطلعة •  
مشاركاً في الوقعة فما تم فتح تلك السنين الا بحضوره • ولا أشرق  
مطلع من النصر الا بذوره • فرأيته ذلك اليوم للسلطان مسائرا •  
ورأيت السلطان له مشاورا محاورا • وأنا أسير معهما • وقد بذوت  
منهما ليسمعاني وأسمعهما • ولاحت أعلام عكا وكان بيارق الفرنج  
المركوزة عليها السنة من الخوف تتشكى • وكأن عذبات النيران  
تصاعدت لعذاب أهلها • وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من  
وعرها وسهلها • فلما قرب منها خيم وراء تلهها • وأننت عروش  
معاشر الشرك بثلها • وعقود معاقدي الكفر بحلها • وأصبح يوم  
الخميس وركب في خميسه • ووقف كالأسد في عريسه • فخرج أهل  
البلد يطلبون الامان • ويبذلون الانعان فامنهم وخيرهم بين المقام  
والانتقال • وهب لهم عصمة الانفس والاموال • وكان في ظنهم أنه  
يستبيح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونسائهم • وأمهلم أياما حتى  
ينتقل من يختار النقلة • واغتموا تلك المهلة • وفتح الباب  
للخاصة • واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصة •  
فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج • والفرج المحرج • كيف  
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم أنهم إذا نجوا بانفسهم  
انهم يغنمون • فترك معظمهم المدينة • وعندهم انه ما كسب السكينة •  
الا من ركب السفينة • وذلك ان الجند لما دخلوها • استولوا على  
الدور ونزلوها وركز كل منهم بيرقه على دار • وقال صاحبها كيف  
يصح المقام مع الأسد في غابه ولا مقام على زار • وكان السلطان  
جعل للفقير عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من منازل وضياع •

ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع . وهرب عكا  
لولده الملك الأفضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجمل •  
ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى فاقمنا بها الجمعة •  
ووصلنا فريضتها المنقطعة • وأعدنا الكنيسة العظمى مسجدا  
جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا • وحضر القاضي  
الاجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمنبر ، وتبسم بميامنه للاسلام  
بعد الاظلام سني الصبح المسفر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف  
ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي ، فإنه تولى بها القضاء  
والخطابة ، وملأنا بعد الذئاب بالآساد السادة السادة تلك  
الغابة ، وخلقى سكان البلد دروهم ، ومخزونهم ومنخورهم وتركوها  
لمن أخذها ، ونبذوا ما حووه لمن حواها مانبذها ، وافتقر من الفرنج  
أغنياء ، واستغنى من أجنادنا فقراء ، ولونخرت تلك الحواصل  
وحصلت تلك النخائر ، وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع  
الوافر ، وكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد ، فترعت في  
خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروج الأطماع ، وطال لمستحليها  
ومستحليها الأمتاع بذلك المتاع ، وأقام السلطان بباب عكا على التل  
مخيما ، وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما ، ولملكتها  
متمما ، وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر  
وهو بمصر ، بما أتاحه الله من النصر ، وقبضه له من اقتضاض  
الفتح المبكر ، فوصلت البشرى بوصوله باشرا ، وللاواء الحمد  
ناشرا ، ولاستفتاح مافي طريقه من الحصون مباشرة ، وأنه فتح  
حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة ، واغتمها غزوة ، وتسلمها  
حظوة ، فقصد من عساكرنا القصاد ، ووفد اليه من عندنا  
الوفاد ، فحباهم بالحباء من السبايا ، وآتاهم المرباع  
والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالذقود ، ووعدهم مما سيحصل  
بالنسايا ، وشرع يستضيف حصنا فحصنا ، ويستفيض حسنى  
وحسنا ، ويستزيد بلدا ، ويستزير مددا ، ويستزير من الكفر  
يدا ، ويستميل الى الهدى هدى ، والدين بسيف سيفه  
منصور ، والاسلام بنصر ناصره مسرور ، والملك العادل مالك  
بعده ، سالك نهج النجاح بفضله ، فائز العزيمة حائز